القسم الرابع-٤

عَرْض المادَّة العلميَّة في كتاب (معرفة مِحْنة الكَحَّالين):

الباب الأوَّل: غرض المؤلِّف من الكتاب ٤-١

الباب الثاني: حَدُّ العين ٤-٢

الباب الثالث: تشريح العين في كتاب معرفة مِحْنة الكَحَّالين ٤-٣

الباب الرابع: فعل العين ٤-٤

الباب الخامس: عِلَل العين ٤-٥

الباب الأوَّل ٤-١

غرض المؤلِّف من الكتاب

الفصل الأوَّل ٤- ١- ١

عنوان الكتاب

يبدأ ابنُ ماسويه كتابَهُ بعباراتٍ قصيرةٍ ذات دلالاتٍ واضحةٍ... فالكتاب يهدف إلى:

١ – "معرفة العينِ وطبقاتِها وأسمائِها ومجاريها وأصولِ تركيبها".

٢ – وفي الكتاب: "مسائل في عِلَلِها [العين]".

٣ – "وامتحانٌ في كيفياتها، وكيفية تركيبها...".

ماذا تعني هذه الجملةُ الأخيرة؟ يقول المؤلِّفُ مستأنفًا العبارةَ نفسَها:

"... لِمَنْ أَرَدْتَ أنْ تعلمَ هلْ عِنْدَهُ علمٌ بالعين أو معرفةٌ".

الكتابُ مكتوبٌ إذًا للأستاذِ المُمتحِن لكي يعرفَ هل طالبُ العلمِ "عندَهُ علمٌ بالعين"؟

الكتابُ له غرضٌ واضحٌ إذًا، –وربَّما كان له غرضٌ آخر–، هذا الغَرَضُ الواضحُ هو مساعدةُ السَّائل (المُمْتَحِن) هل طالبُ العلم "عنده علمٌ أو معرفةٌ"؟.

إنَّهُ يُعْطي السَّائلَ أو المُمتَحِنَ، نماذجَ من الأسئلة التي يمكِن له أنْ يُوَجِّهَها لطالبِ العلم، ويُجيبُ أيضًا على هذه التَّساؤلات.

نفهم من ذلك أنَّ الكتابَ يحدِّدُ نماذجَ من الأسئلة التي يمكن أنْ يوجِّهَها الأستاذُ (السَّائلُ) **فلا يتعَسَّفُ** في توجيهِ أسئلةٍ صعبةٍ، **ولا يتساهلُ** في توجيهِ أسئلةٍ ذات مستوًى غير جديرٍ بما ينبغي أنْ يَعْرِفَهُ الدَّارسُ.

ولعلَّه في كتابةِ الإجابةِ يُحدِّد أيضًا المستوى الذي ينبغي أنْ يكتفيَ به المُمتحِنُ، فلا يتطلَّبُ من الطَّالب أكثر من ذلك.

ولعَلَّ عنوان الكتاب "معرفة مِحْنة الكَحَّالين" أو "مِحْنة الكَحَّالين" يوحي أيضًا بما ذهبنا إليه من فَهْمٍ لغَرَضِ الكتاب، فنحن نعالجُ في الكتاب مسألةً محدَّدةً هي **(مِحْنَةُ)** الكَحَّال، أي امتحانه، والكَحَّال هنا هو مَنْ يتقدَّمُ لامتحانٍ ينالُ –إذا نجحَ فيه– لقبَ (الكَحَّال) أي طبيب العيون.

على كُلِّ حالٍ، أحَبَّ المؤلِّفُ أنْ يستعملَ كلمةَ (الكَحَّالين) للأطبَّاء الذين لم يحصلوا على اللَّقب بعد، كما نقول اليوم (دكتور) لطلاب السَّنة الأخيرة، وفي أيام المؤلّف كانت (الكِحَالة) تخصُّصًا معترفًا به من زمنٍ طويلٍ، فجميلٌ أنْ يسمِّيَ المتقدِّمين للامتحان (كَحَّالين)، (وتفاءَلوا بالخير تجدوه).

يقول ابن ماسويه: "هذا كتابُ معرفةِ العين وطبقاتها وأسمائها..." فهو كتابٌ يحتوي على مادَّةٍ علميَّةٍ هي "العينُ وطبقاتها... وأصول تركيبها" وهو على أسلوب (المسألة والجواب) هذا الأسلوب المعروف في ذلك العصر: يكتبُ المؤلِّفُ السَّؤالَ، ثمَّ يكتبُ بعد ذلك جوابَه.

وكان هذا النَّوع من التأليف مُوَجَّهًا للمُتَعَلِّمين... يقرؤون الكتابَ قبلَ الامتحان، فهو يُلَخِّصُ المادَّة العلميَّةَ؛ لكي يقرأَها المتقدِّمُ للامتحان في السَّاعات الأخيرة.

وأشهرُ هذه الكُتُب كتابُ حنين بن إسحق (المسائل في الطِّبِّ) الذي يُسمَّى أيضًا (المسائل في الطِّبِّ للمتعلمين) وكذلك كتابه (المسائل في العين)، المخصَّص لعلم العين، بينما الكتاب الأوَّل مخصَّصٌ لطلاب الطِّبِّ العامِّ.

وبسبب شيوع هذا النَّوع من الكُتُب قبل العصر العربيِّ وفي أثنائه، وبسبب معرفة المستشرقين ومؤرِّخي الطِّبِّ لهذا النَّوع من الكُتُب ظنُّوا أنَّ كتابَ ابن ماسويه هذا له هو أيضًا هذا الغَرَض، فلم يفطنوا إلى غَرَضِه الآخر، وهو **مساعدةُ المُمتحِن** في تحديد نوع الأسئلة ومستواها، ومستوى الإجابة.

إنَّ الكتابَ يمكن أنْ يكونَ له هذان الغَرَضان في الوقت نفسِهِ، فالطَّالب يُحِبُّ أنْ يعرِفَ أيضًا ماذا ينتظره من أسئلةٍ.

الفصل الثاني ٤- ١- ٢

أسلوبُ المسألة والجواب

يقع الكتاب في عددٍ من المسائل، وبعد كُلِّ مسألةٍ يأتي جوابُها، في المخطوطات التي وصلت إلينا من هذا الكتاب يصعُبُ أنْ نحدِّدَ أين تبدأ كُلُّ مسألة من هذه المسائل، وذلك بسبب التَّشابه الشَّديد بين المادَّة العلميَّة في مسألةٍ ما والمادَّة العلميَّة في المسألة التي تليها، أو في عبارةٍ ما وفي العبارة التي تليها. إضافةً إلى ذلك فإنَّ الناسخَ يكتب كلمةَ (مسألة) في بعض الأماكن ولا يكتبها في أماكن أخرى.

ونعطي هنا مثالًا على ما نقصده:

"مسألة: فإنْ قال قائلٌ: كم عضلةً في العين؟

قيل له: ست عضلاتٍ.

فإنْ قال: فأينَ مواضعُ هذه العضلات؟

قيل له: عضلةٌ منها...".

أَنَعُدُّ هاتين الفقرتين مسألتين؟ أم نَعُدُّهما مسألةً واحدة؟

وهذا مثالٌ آخر:

"مسألة: فإنْ قال قائلٌ: من كم عِلَّةٍ يبطل فعل العين وهو الإدراك؟

قيل له: من ثلاثة أشياء.

فإنْ قال: فما هذه الثلاثة الأَشياء؟

قيل له: المُرْسِلُ، والمُؤَدِّي، والقابلُ.

فإنْ قال: فما المُرْسِلُ؟ وما المُؤَدِّي؟ وما القابل؟ قيل له...".

هل نحن هنا أمام مسألةٍ واحدةٍ؟ أم أمام ثلاث مسائل؟

تسهيلًا لدراسة الكتاب وتحقيقه سوف نضع أرقامًا للفقرات، لعلَّها تتطابق مع المسائل، وستكون هذه الأرقام بين علامتين [ ] للإشارة إلى أنَّها من وضعنا.